الفصل العاشر

ظل التــاج

الالقاب ظل التيجان اشياء فارغة

ـ دانيال ديفو ـ الانكليزي الأصيل

كان الاستيلاء على القدس الانجاز الأعظم للحملة الصليبية، من أجل ذلك خرجت وقاتلت وكافحت، كما كانت الاستجابة لصلوات كل مسيحي في أوروبا الغربية، ولكن البابا أوربان الذي دعا الصليبيين للزحف شرقاً تحت لواء النصرانية لتحرير الأماكن المقدسة من الهيمنة التركية لم يقدر له أن يرأس احتفالات النصر والصلوات لتقديم الشكر لقاء ذلك النصر للأسلحة المسيحية بسبب موته بعد سقوط المدينة، وقبل أن تصل الأخبار إلى أوروبا، وبالرغم من موته، ابتهج الجميع كثيراً لدى وصول الأنباء أخيراً، لقد غفر الرب أخطاء وذنوب الماضي، وقاد شعبه إلى نصر عظيم.

كانت تلك النتيجة التي خرج بها الصليبيون في القدس، بعدما توصلوا إلى هدفهم، لكنهم ماذا يفعلون بعد ذلك، فلم يرتب أحد في الأهمية السامية للاستيلاء على القدس فهي المدينة المقدسة للديانة المسيحية، ولذلك وبدلالة ذاتية تعين أن تبقى في أيد مسيحية، ولكن ماذا تفعل الأيدي فيها، وهي الآن في حوزتهم، لم يكن أحد يعرف، ومع ذلك فهناك مهمتان سريعتان ينبغي عملهما: تنظيف المدينة من آلاف الجثث المتفسخة، وخلق نوع من الدفاع ضد هجوم إسلامي مضاد، وكان العمل الأول غير محبب، ولكنه نسبياً سهل التنفيذ، أما المهمة الثانية فكانت أصعب لأن المنافسة بين الأمراء كانت على

أشدها، ولم يكن من الممكن تنفيذ أية خطط مناسبة حتى تسوى مسألة قيادة الجيش نهائياً، فلو كان أدهمر لي بوي حياً فمن المؤكد أنه سيجعل رئيساً للأساقفة أو بطريركاً للقدس، وكذلك لكانت قد حلت قضية القيادة في المدينة بحب وسلام، ولأختير على الأرجح ريموند أوف تولوز، ثم لكان القادة في المدينة الآخرون مع دعم أدهمر له قد قبلوه دون معارضة، غير أن أدهمر ميت، وليس هناك أحد له قوة نفوذه كان يستطيع حلول محله.

وعندما اجتمع القادة توصلوا إلى اتفاق حول شيء واحد فقط وهو: وجوب تنصيب بطريرك في الحال، لأن القيادة الروحية للمدينة والجيش هو المطلب الأسمى، وبالنسبة إلى سيمون البطريرك اليوناني للقدس الذي مات في قبرص قبل ذلك، لو أنه مازال على قيد الحياة، فإنه سيكون دون فائدة لهم، وشرعوا يحاولون اختيار أحدهم لملء العرش الأسقفي، ولكن ذلك كان صعباً بالنسبة لوحدتهم الضعيفة، وسرعان ما تشاجر أبناء بروفانس بقيادة ريموند مع النورمانديين حول نقطة التعيين. حيث كان أرنولف أوف روهز وهو أحد الأشخاص الذين وعظوا الصليبيين المجتمعين ليلة الانقضاض على القدس - يؤيده النورمانديون للمنصب، فقد كان قسيساً لروبرت أوف نورماندي، كما كان المدرس الخاص لبعض أطفال وليم الفاتح، ولكن كان هناك اعتراضات على ترشيحه لم يسمح ريموند بنسيانها، فقد كان بالإجتماع العام رجلاً حسن الثقافة لكنه غير شرعي، ومتحلل لمبادئه على نحو سيء، ولم يكن بالإضافة إلى ذلك مجرد شماس مساعد، واحتدت الأمزجة كثيراً إلى درجة أن انتخاب رئيس أساقفة ترك لعامل الزمن، وبدلاً عن ذلك عولجت قضية من يصبح القائد المدني هناك، ومن بين العديد من الرجال كان هناك مناضلان هامان انطلقا من القسطنطينية. فأما بلدوين فقد كان خارج السباق لأنه في الرها وبالنسبة لبوهمند فقد كان في أنطاكية، وأما ستيفن أوف بليوس وهيو أوف فيرماندوس فقد عادا إلى الوطن، وأما يوستاس أوف بولون وتانكرد فلم يكن لديهما أتباع كافون ليصبحا المرشحين الهامين، وتقلص حقل المنافسة

أكثر مع إعلان روبرت أوف نورماندي وروبرت أوف فلاندرز عن رغبتهما بالعودة إلى الوطن في أسرع وقت ممكن، بعدما تحققت الغاية الرئيسية من الحملة، وبقي ريموند أوف تولوز وغودفري أوف بوليوم.

ولو أن القادة الأساسيين كانوا المستهلين في سباق القوة لكان ريموند أوف تولوز المفضل بينهم، لأنه من عدة نواحٍ المرشح الواضح، فهو غني جداً، وأرشدهم في السهر والخبرة، كما كان صديقاً لأدهمر، في حين كان النورمانديون يكرهونه، ولم يبرهن عن نجاحه عموماً، وفوق ذلك فقد ساند بطرس بارثلميو وكان يحاول بثبات أن يكون في صالح صحة المدية المقدسة. وعندما نبذهما الناس ككاذبين دفعت سمعته وموقفه ثمن ذلك، وقيل أخيراً إن العديد من تابعيه لم يرغبوا في اختياره، لأنهم كانوا يريدون العودة إلى الوطن، ومع ذلك، قرر أخيراً مجلس الأساقفة والأمراء الذي أصبح مسؤولاً عن الانتخاب، عرض العرش على ريموند وكانت مفاجأة للجميع رفضه العرض على أساس لا يرغب في أن يصبح ملك القدس، فهناك ملك واحد فقط للقدس، كما قال، هو المسيح. وربما طرح الشك في العرض على أنه غير مشجع، وربما أمل بجوابه أن يجعل الأمر غير ممكن لغودفري ليصبح ملك مكانه، ومع ذلك تحول المنتخبون مباشرة إلى منافسة الشخص الذي وافق أن يأخذ على عاتقه القيادة، ولكنه رفض أن يدعى بالملك، وبدلاً عن ذلك أعلن أنه يجب أن يدعى المحامي عن القبر المقدس، واستقرت الأمور بذلك الشكل.

كان ريموند مغتاظاً وتصرف مثل طفل أرعن ورفض القبول بسلطة غودفري أوف بوليون وتسليم قلعة القدس [المبنى المعروف ببرج داوود] الذي كان مسؤولاً عنه، وصدم عرض الرعونة مؤيديه، وسرعان ما خدع فغادر البرج في حنق وترك خارج القدس مع رجاله الذين قادهم إلى الأردن ثم أريحا حيث مكث مقطب الجبين.

وبعد ارتياحهم من حضوره المخيف إلى حد ما. عاد الأمراء في القدس

إلى مهمة تعيين رئيس أساقفة للمدينة، واختير أخيراً أرنولف أوف روهز وكرس لذلك رغم أخطائه الواضحة. وبالنظر لخلفيته العلمانية فقد برهن أنه مقبول لدى غوردفري والسلطات المدنية الأخرى، ولكن كان حساساً بشكل يبعث على اليأس وغير لبق مع رجال الدين الإغريق والمسيحيين الذين ابتهجوا لتحريرهم من الأتراك[1]، ثم سرعان ما ندموا على تغيير أسيادهم، وبدا أن هدف أرنولف هو أن ينصب رجال الدين الغربيين الذين تمرسوا في الطقوس اللاتينية في كل منصب فارغ، مكان رجال الدين الأغريق من الكنيسة الأرثوذكسية الذين كانوا هناك، ومنع الكهنة من إدخال الطقوس اليونانية إلى كنيسة القيامة، كما خاصم بشكل مرير أعضاء الكنائس الصغيرة مثل الأرمن والأقباط واليعاقبة بمعاملتهم كمنشقين، إنما عامل المسلمين معاملة أفضل.

ولم يأخذ غودفري زمام الحكم في يديه لفترة طويلة حتى قدمت الأخبار عن وصول جيش مصري كبير عبر صحراء سيناء إلى فلسطين، وكان يقوده الوزير نفسه من مصر وهو أرمني الأصل إسمه الأفضل، وتقدم الجيش إلى المدينة الساحلية عسقلان، وكان تانكرد ويوستاس أوف بولون بعيدين عن القدس، خرجا إلى نابلس ليتقبلا خضوع سكانها، وعندما نقل رسول غودفري الأخبار إليهما تحركا إلى السهل الساحلي قرب قيسارية، ثم زحفا جنوباً نحو المصريين المتقدمين آسرين بعض طلائعهم في الطريق، ومن تلك الحوادث السيئة، استخلصوا أن الوزير لم يكن يتوقع أن يهاجمه المسيحيون. وتوقف ليأخذ بعض الراحة منتظراً أن يدركه أسطوله بالمؤن، بينما يستعيد رجاله نشاطهم من المسير الطويل عبر سيناء، وبعد التحقق من الأهمية الحاسمة لتلك المعلومات أرسل تانكرد ويوستاس رسالة إلى غودفري ينصحانه بالانضمام إليهما مع كل رجل وبالسرعة الممكنة ـ، فإن الوضع خطير جداً، وكان الأمل الأكبر للنجاح يقع في القيام بالانقضاض على الأفض وقوته الأكبر كثيراً.

(1) كانت القدس تحت الحكم الفاطمي، ولم تكن بيد التركمان وقت غزوها.

وكان هذا مرة ثانية معياراً لمدى انقسام أمراء الحملة الصليبية حسداً من بعضهم البعض حتى إن ريموند الذي كان لا يزال مغضباً في أريحا وروبرت أوف نورماندي الذي تشاجر مع غودفري لسبب ما، ـ رفضا أن يسيرا معه حتى تتأكد الأنباء بشكل مستقل من قبل تانكرد ويوستاس، بينما استجاب روبرت بسرعة، وفي 9 آب 1099 خرج ومعه غودفري برجالهما من القدس، كما خرج رئيس الأساقفة أرنولف ورجال الدين معهما، فقد كانت الصلاة سلاحاً حربياً مثل الدرع أو السيف، ولم يكن ممكناً بالنسبة للصليبيين التفكير بإهمال الجانب الروحي في المعركة القادمة، وعندما وصلوا إلى الرملة حيث كان تانكرد ويوستاس ينتظران لم يكن ثمة شك في أذهان الجميع أن قدر الحملة الصليبية سيتم تقريره في الأيام القليلة التالية، وأرسل أحد الأساقفة المرافقين لأرنولف إلى القدس ليثير الآخرين على الانضمام إليهم بأقصى سرعة، وبعد اقتناعهما أخيراً، انطلق ريموند وروبرت أوف نورماندي مع كل قادر على حمل السلاح. وتركا حامية صغيرة وراءهما، وطلب إلى بطرس الناسك حث كل مسيحي في المدينة من الاغريق واللاتينين على الصلاة دون توقف من أجل النصر، وفي صباح اليوم التالي التقى ريموند ورجاله من أبناء بروفانس وروبرت ورجاله من النورمانديين مع غودفري. وانطلق روبرت أوف فلاندرز وتانكرد ويوستاس والجيش المسيحي كله للزحف نحو الجنوب، ومع ذلك فقد كان الجيش أصغر من أي وقت مضى، لا يتجاوز أكثر من اثني عشر ألف فارس، وتسعة آلاف من الرجّالة.

وساروا بثبات عبر رمال وحرارة يوم صيفي نموذجي في فلسطين، وعندما انتهى النهار وانحدرت الشمس للمغيب فس سماء صافية حذرتهم طلائعهم، فقد أبصر رجالها أمامهم خلال وهج الحرارة ووميض وهج المساء الباكر الساكن الحار جيشاً من رجال وخيول. وبدا المنظر في الضوء الباهت والمتمزق مثل جيش في سراب، وخرج منهم مائتا فارس ليتحققوا، وعندما اقتربوا وجدوا أنفسهم محاطين بقطعان كبيرة من الجمال والماشية والخراف

والماعز يرعاها فئة من العرب الخائفين الذين هربوا لدى اقترابهم، لقد كانت قطعاناً قدم بها الوزير ليطعم جيشه، ووقعت في أيدي الصليبيين، وكانت النتيجة أن أكل الجميع جيداً تلك الليلة، وكتب القسيس ريموند: «أمضينا الليلة دون راحة، لأنه لم يكن لدينا خيم أو خمر، وكان لدى بعضنا الخبز والقليل من الطحين والملح، غير أن اللحم كان وفيراً وفرة الرمال، حيث أكلنا اللحوم وأكثرنا من لحم الضأن بدلاً من الخبز».

وعند انبلاج نور الفجر من النهار التالي، اصطفوا فوق السهل شمال عسقلان حيث كان الجيش المصري لا يزال نائماً في المعسكر، وأخذ رجال الوزير على حين غرة تماماً، ورغم أنهم كانوا ضعف عدد المسيحيين، لم يبدوا مقاومة تذكر، وقتل بعضهم وهم مستلقون نيام، بينما نجا آخرون بأرواحهم في فزع حيواني، ولكن لم ينج إلا القليل، واختبأ العديد منهم في غيضات أشجار القصب، فأشعل الصليبيون النيران فيها فماتوا حرقاً، بينما سبق آخرون إلى البحر ليقتلوا أو يغرقوا، واندفع تانكرد وروبرت أوف نورماندي في طريقهما إلى مركز معسكر العدو، مع عصبة من الفرسان الراكبة وقتلوا حامل لواء «الأفضل»، واستولوا على خيمته وأغراضه الشخصية، وتعقب بقية الفرسان الفلول المتناثرة من الجيش المصري المرعوب في الطريق إلى عسقلان وقتلوهم، وكان الوزير مع اثنين من مساعديه الشخصيين من بين الأشخاص القليلين الذين وصلوا المدينة في أمان، حيث ركبوا بسرعة سفينة إلى مصر، لكن الآخرين كانوا في عداد القتلى أو الأسرى بحيث تم النصر للصليبيين.

ومرة أخرى فسدت الأمور بانفجار شجار عنيف بين القادة المنتصرين، الذين بدوا غير قادرين على العمل معاً إلّا في لحظات الأزمات، لقد أنقذت القدس، كذلك لا بد أن سقط عسقلان الميناء الهام، بعد وقت قصير، في أيديهم مثل ثمرة خوخ ناضجة، وفي الواقع عرض الحاكم المسلم تسليم المدينة على ريموند وليس على غودفري، وعلى الأرجح أنه اختاره من أبناء بروفانس، لأنه تمتع بشهرة أرفع من الآخرين الذين تلوثت أسماؤهم ببربرية

أعمالهم خلال المذبحة بعد سقوط القدس، وكان غودفري مغتاظاً ومتشككاً على نحو عميق بنوايا ريموند فيما إذا استلم المدينة، فرفض أن يقدم أية مساعدة لانجاز هذه الاتفاقية، وغضب ريموند من هذا كثيراً، ورغب أن ينفض يديه من الأمر كله، فسار برجاله بعيداً باتجاه الشمال في مزاج استياء غاضب، وكبرياء مجروح، كما غادر كل من روبرت أوف نورماندي وروبرت أوف فلاندرز اللذين كانا غاضبين على غودفري، الذي غدا ضعيفاً جداً ليهاجم عسقلان دونهما، وهكذا فاتت فرصة الاستيلاء عليها، ولم تتكرر لأكثر من خمسين سنة أخرى.

وعندما عاد غودفري إلى القدس أعلن الروبرتان أنهما عائدان إلى الوطن، وسارا برجالهما شمالاً للمرحلة الأولى من رحلتهما الطويلة، فهما قد حققا قسمهما، وليس لديهما رغبة للخدمة تحت قيادة غودفري، كما سار معهما شمالاً روبرت أوف تولوز آملاً أن ينال أمارة لنفسه مثل بلدوين وبوهموند وغودفري الذين نجحوا في القيام بذلك، ورغم كرهه لهم، كان راضياً أن يتولى إمارة بمثابة تابع للامبراطور البيزنطي، ولذلك كان متخوفاً مثل النورمانديين الإثنين عندما وصل ثلاثتهم إلى مدينة اللاذقية على الساحل السوري ليجدوا أن بوهمند يحاصرها وحاميتها البيزنطية بينما كان أسطول قدم من بيزا مع الممثل البابوي الجديد رئيس الأساقفة ديمبرت يحاصر المكان من جهة البحر، وكان قد وافق البيزيون الذين كانوا مجموعة من الأشخاص البدائيين الجشعين لاحتكار رئاسة الأساقفة في الممالك الصليبية فيما وراء البحار على أمل الحصول على امتيازات تجارية قيمة، ومع ذلك، لم يترددوا عن التصرف مثل القراصنة، فقد أغاروا على عدد من الجزر والموانئ البيزنطية لإغاظة الإمبراطور ألكسيوس، الذي أمر أسطوله بمعاقبتهم، ولكنهم كانوا محظوظين في تملصهم من السفن اليونانية، ولدى وصولهم إلى اللاذقية وجدوا بوهمند محاصراً لها، فانضموا إليه بعد دعوته لهم، وكان ريموند ممتعضاً ومغتاظاً من بوهموند بينما كان الروبرتان الرجلان اللذان تحققا أنهما دون رضا

البيزنطيين لن يصلا إلى وطنهما ـ كانا فزعين على السواء، كما كان ثلاثتهم مشدوهين من حماقة ديمبرت في النماخ لنفسه ليصبح منهمكاً في حرب صغرى مع البيزنطيين، الذين بعد ذلك كله كانوا إخوانهم المسيحيين، وبعد دعوتهم ديمبرت للقدوم إلى معسكرهم في جبلة، تدبرا أمر إقناعه بإيقاف أسطوله البيزي، ونظراً إلى أن بوهموند لم يكن ليستطيع محاصرة اللاذقية دون مساعدته، فقد تقهقر إلى أنطاكية في حقد كبير، ولفترة قصيرة انتهت الأزمة، ولكن لم تتحسن العلاقات مع البيزنطيين، أما الممثل البابوي فقد بدأ عمله بصعوبة في الممالك الصليبية فيما وراء البحار وبطريقة مشؤومة كثيراً.

في حين أن الروبرتين شقا طريقهما إلى الوطن. نزل ريموند في ضيافة الحاكم البيزنطي في اللاذقية، وفي أثناء ذلك تعين على غودفري تقويم وضعه في القدس، لقد كان العمل مؤثراً فهو في حاجة إلى الرجال على نحو يبعث على اليأس، ورغم أن مملكته الصغيرة كانت آمنة من هجوم إسلامي مضاد، إلا أن المدن الساحلية لا يزال يحكمها أعداؤه رغم أنهم كانوا يتصرفون بطريقة ودية سليمة منذ خذلان الجيش المصري، ولذلك عندما أعلن مراراً بلدوين وبوهموند في الرها عن نيتهما في القدوم إلى القدس للتحرر من إيمانهم كحجاج ـ سر غودفري كثيراً على أن يقنع العديد من أتباعهما بالبقاء ليزيد حاميته الصغيرة بشكل مثير للشفقة، وعلى أية حال نجح في القيام بذلك، ولكن النتائج الأخرى من زيارتهما لم تكن سعيدة، حيث عزل ديمبرت أرنولف من رئاسة الأساقفة في القدس على أساس أن انتخابه غير معترف به، ورتب الأمور بطريقة مكنت من انتخابه على الفور بطريركاً مكانه، ثم أصر على أن يركع غودفري أيضاً أمامه ليقلده السلطة كحاكم شرعي للقدس، أما حقيقة أن بوهموند وافق على أن يخضع لنفس المراسم ليقلد من قبل ديمبرت كحاكم شرعي لأنطاكية لم تكن عزاء كبيراً بالنسبة لغودفري الذي عرف أنه سيعيش مع البطريرك الجديد، وتصرفاته غير المحتملة، عندما يغادر بوهموند، وفوق ذلك فإن غودغري بعمله ذلك يكون قد اعترف ضمناً بديمبرت سيداً اقطاعياً له،

رغم أن الاعتراف ضمني ليس غير، أما بالنسبة لبلدوين فقد كان رجلاً من طراز مختلف، كما كان غيابه واضحاً خلال مراسم التقليد، حيث لم يكن لديه نية في الركوع أمام أي شخص.

وتشجع غودفري بنجاحه في إقناع بعض الفرسان الزائرين بالبقاء في القدس وشعر بعد مغادرة بوهموند وأخيه (غودفري) بلدوين أنه قوي بما يكفي ليتولى الهجوم ضد بعض المدن الساحلية، التي كانت لاتزال في أيدي المسلمين، والتي عقدت الواحدة بعد الأخرى اتفاقات معه، وفي إحدى المراحل حاول المصريون التدخل عن طريق إرسال بعض الفرق لدعم أحد الأماكن الذي كان يحاصره وشجع وصولها الحامية الجائعة على الهجوم والاشتراك في المكافحة مع رجال غودفري الذين هاجوهم في كمين ودمروهم، وتوسل المواطنون في يأس من أجل الأمان فقبل غودفري خضوعهم دون فرض مطالب غير ممكنة عليهم، ولم يمض وقت طويل على تلك الحادثة حتى قرر أمراء عسقلان وقيسارية وعكا وقد اطمأنوا لما حدث، قرروا أيضاً الخضوع له ودفع جزية، وبعد فترة قليلة تقرب منه العرب في شرقي الأردن على أمل إقامة نوع من علاقات الصداقة معه، فقد اعتمد عيشهم على تجارتهم مع المسلمين في السهل الساحلي، ونظراً إلى أن دولة غودفري الجديدة كانت تقع عبر طريقهم التجارية، فقد كان من المهم لهم إقامة صداقة مع جيرانهم المسيحيين الجدد، وكان لدى غودفري حس جيد لإدراك ذلك، فإذا قام الوجود المسيحي بإحكام في الأرض المقدسة، فلن تكون هناك حرب مستمرة ممكنة مع الإسلام، ورحب بالانفتاح العربي، وسمح لقوافل العرب بعبور مقاطعته، وشجع تجارتهم على التعامل مع شعبه، وبالنتيجة لم يزدهر مواطنو الصليبيين الجدد بشكل مطرد فحسب، بل تحسنت علاقاتهم مع جيرانهم المسلمين يومياً بحكم الحقيقة الجغرافية والاقتصادية، التي فرضت على الجانبين اكتشاف فوائد التعاون المشترك.

وكانت أكبر مشكلة بالنسبة لغودفري ما خلقه الممثل البابوي ديمبرت

الذي أظهر بوضوح كاف مع مرور الوقت، أن لديه نية في عدم حصر نفسه في دور البطريرك ورئيس الأساقفة في القدس، أو في السماح لغودفري بمعاملته كمجرد سلطان اسمي، وعلى النقيض انتهز كل فرصة للقبض على القوة المدنية، ولم يستطع غودفري أن يقاومه لكونه من ناحية أولى كان يخشى الكنيسة ومن ناحية ثانية كان يخاف أن يغضب البيازنة الذين اعتمد على دعمهم المستمر لأجل سلامة دولته، ولذلك عندما سمع بنزول أسطول تابع للبندقية في يافا سارع إلى الساحل لاستقباله، لأنه لو تمكن من ضمان دعم البنادقة لتمكن من تحرير نفسه من الاعتماد على البيازنة، واتخذ طريقه عبر طبرية وقيسارية، حيث أثبت أمير محلي لهفته لتشريفه كضيف، ودعاه إلى مأدبة، وقد عومل بالاحترام العظيم، كما كان الطعام مترفاً، ثم ودع الأمير ضيفه غودفري الذي كان يشعر بتوعك وعندما وصل إلى يافا أصابه الضعف الشديد. ثم تحسن قليلاً في اليوم التالي، وعندما طلب نقله إلى القدس في محفة، ولدى وصوله ازداد حاله سوءاً وتخوف الجميع من الاسوأ.

ولكنه لم يمت مباشرة، في حين كان ديمبرت ينتظر بفارغ الصبر موته ليتولى تسيير السلطة العليا بنفسه، ورغم ضعف غودفري الشديد، استمر في تسيير عمله اليومي في الحكومة، وأعطى البنادقه امتيازات واسعة النطاق في مقابل دعمهم، ورغم علاقاته الودية مع الأمراء على الساحل، أمر بالهجوم على عكا، وسلم قيادة الجيش لأحد فرسانه وأسمه وارمز أوف غري، وعندما وصل تانكرد من الجليل لينضم للحملة خرجا معاً من القدس، ثم انطلق معهما ديمبرت على أمل ونية استلام السلطة في الجيش، حالما تقع الحادثة المتأجلة والمنتظرة طويلاً في القدس، ولم ينتظر طويلاً، ففي 18 تموز 1100 مات غودفري دي بليون دوق اللورين الأدنى والمحامي عن الضريح المقدس، مات بكل هدوء.

ولو أن ديمبرت كان في المدينة لقبض على فرصته، ومن المشكوك فيه أن أحداً كان قد اعترضه، ولكن الذي حدث هو أن مجموعة من أبناء اللورين

التابعين لغودفري الذين كانوا كارهين للممثل البابوي قاموا بالسيطرة على المدينة، وأرسلوا رسولاً إلى بلدوين صاحب الرها أخي غودفري يدعونه للقدوم بسرعة لتسلم ميراثه الشرعي لقرابته منه، وكانت المسافة بعيدة، والاتصالات بطيئة، غير أنه لم يستغرق وقتاً طويلاً للقدوم رغم أن ديمبرت حاول أن يوقفه في طريقه، ووصل بلدوين إلى القدس وأعلن وراثته لأخيه، ولما لم يكن لديه شك ديني حول صحة دعواه في الملكية، فقد أقسم اليمين يوم عيد الميلاد سنة 1100 بالدفاع عن الضريح المقدس، وتوج ملكاً على القدس.